عزمي بشارة: من قسم الولاء للكنيست إلى إمبراطورية تفكيك الإسلام

م. محمد صادق الشيخ ديب

12.06.2026

مقدمة: ليس هجوماً على رجل، بل تفكيك لمشروع

لا يهدف هذا المقال إلى تصفية حسابات شخصية، ولا إلى الهجوم على شخص بعينه. الهدف أعمق وأخطر: تفكيك بنية مشروع فكري وسياسي وإعلامي يمتد من الدوحة إلى لندن إلى إسطنبول، بتمويل خليجي مفتوح، ويُقدَّم للعرب والمسلمين يومياً بوصفه "تنويراً" و"بحثاً علمياً مستقلاً."

السؤال المحوري الذي سيتعقبه هذا المقال في الوقائع والخطاب معاً:

لماذا يركّز هذا المشروع بكل ثقله على الإسلام وحده، دون أي دين آخر بوصفه نظاماً سياسياً وتشريعياً يحتاج إلى "تفكيك" و"علمنة"؟

الإجابة، كما سنرى، ليست أكاديمية بحتة. إنها إجابة جيوسياسية وجيوثقافية بامتياز.

أولاً: الوثيقة الأولى، الرجل الذي أقسم بالولاء لإسرائيل

في عام 1996، وبحضور شيمون بيريز أحد أبرز مهندسي المشروع الصهيوني، وقف عزمي بشارة في الكنيست الإسرائيلي ونطق بقسم رسمي نصّه:

"أقسم بالولاء لدولة إسرائيل وأن أخدم وبولاء الكنيست الإسرائيلي"

هذا ليس ادعاء خصومه. هذه وثيقة رسمية سُجّلت بالكاميرا وفي المحاضر الرسمية للكنيست، متاحة للتحقق من أي مصدر مستقل.

ولم يكتفِ بشارة بعضوية واحدة، بل أُعيد انتخابه عام 1999، ثم 2003، ثم 2006، وبقي في المنصب حتى استقالته عام 2007. أي أنه خدم **أحد عشر عاماً كاملة** في المؤسسة التشريعية لدولة تُشرّع الاستيطان، وتُقنّن تهجير الفلسطينيين، وتُكرّس تفوقاً قومياً دينياً.

المفارقة الصامتة :الرجل الذي يُقدَّم اليوم للجمهور العربي باعتباره "مفكر المقاومة" و"الصوت القومي الفلسطيني" ظل أحد عشر عاماً يؤكد ولاءه الرسمي للدولة التي اغتصبت فلسطين.

ثانياً: الخروج من فلسطين، حين اختار الهروب بدل المواجهة

في 6 أبريل 2007، وبينما كان بشارة في سفرة خارجية، خرج من فلسطين مشتبهاً به بتهمة "التعاون مع العدو في زمن الحرب."

أوضح مصدر في مكتبه أن الاستقالة جاءت "لكي لا يختبئ وراء الحصانة البرلمانية"، مشيراً إلى أنه في حال عودته وإدانته فسيُسجن.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه بقسوة: أين كان "المقاوم الفلسطيني" حين حانت لحظة المواجهة الحقيقية؟

والأكثر إثارة للتأمل: رحّب عضو الكنيست يسرائيل حسون من حزب إسرائيل بيتنا اليميني باستقالته قائلاً: "دولة إسرائيل يمكن أن تكون مكاناً أفضل بدون عزمي بشارة."

تأمل هذه الجملة: رجل يرحّب اليمين الإسرائيلي برحيله. كيف يكون الرجل "خطيراً" على إسرائيل وهم يفرحون بغيابه؟ الاستنتاج المنطقي الوحيد: بشارة كان يؤدي دوراً داخل المنظومة الإسرائيلية، صوت عربي "مرخص" يمنحها شرعية ديمقراطية، لا يُشكّل تهديداً حقيقياً لها.

ثالثاً: الدوحة، المحطة التي تكشف كل شيء

لم يتجه بشارة بعد خروجه إلى بيروت، ولا دمشق، ولا القاهرة. توجه مباشرةً إلى **الدوحة**.

في عام 2010، تأسس المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في الدوحة تحت إدارة بشارة. وأصبح للمركز ثقل كبير في الشرق الأوسط بسبب الأموال الضخمة التي تضخها الحكومة القطرية لصالح بشارة، المستشار الخاص للأمير.

ثم توسعت المنظومة أبعد من ذلك. أُسست مؤسسة "فضاءات ميديا" التي يقودها بشارة، وتدير: تلفزيون العربي وجريدة العربي الجديد ومقرهما لندن، وتلفزيون "سوريا" الذي يبث من تركيا، إضافة إلى المركز العربي ومركز حرمون للأبحاث.

رجل واحد يُمسك بيده: مركزاً بحثياً دولياً، وقناة تلفزيونية، وجريدة في لندن، وتلفزيوناً سورياً في تركيا، كل ذلك بتمويل قطري مفتوح لا تُعلَن أرقامه.

السؤال الذي لا تُسمح بطرحه في منصاته:

كيف يمكن لرجل واحد، ممول بالكامل من حكومة واحدة، أن يُقدَّم للعرب باعتباره "مفكراً مستقلاً"؟

رابعاً: المشروع الفكري، الإسلام في قفص التشريح وحده

يمتلك بشارة منتجاً فكرياً غزيراً. لكن الناقد المنهجي يلاحظ نمطاً ثابتاً لا يتغيّر عبر كل إصداراته ومنصاته:

كل الطرق تؤدي إلى نتيجة واحدة :الإسلام يجب أن يُختزل إلى دين روحاني وإرث حضاري وشعائر فردية، ويجب أن يُجرَّد تماماً من أي سلطة تشريعية أو سياسية على الدولة والمجتمع.

هذا قد يكون رأياً مشروعاً في سوق الأفكار، لو طُبّق بالتساوي. لكن السؤال الجوهري الذي لا يُجيب عنه بشارة ولا منصاته:

لماذا لا يُطبَّق هذا المنهج على اليهودية؟

بشارة درس الفلسفة واليهودية في الجامعة العبرية. يعرف "الهالاخا" جيداً. يعرف أن دولة إسرائيل تقوم على مزيج من العلمانية الظاهرية والمرجعية الدينية الخفية: قوانين العودة، والزواج، والأراضي، والسبت، والتمويل الحكومي للمؤسسات الدينية. لكنه لم يكتب أبداً مشروعاً لعلمنة إسرائيل.

لا توجد في إنتاج المركز العربي للأبحاث بكل ميزانياته الضخمة، دراسة واحدة بعنوان: "فصل اليهودية عن دولة إسرائيل". ولا بحث واحد في "تفكيك الهالاخا السياسية". ولا مشروع واحد لعلمنة الهندوسية السياسية في الهند.

الجواب الصريح :لأن هذا ليس هدف المشروع. المشروع موجّه حصراً ضد الإسلام بوصفه المنافس الوحيد لنموذج الدولة العلمانية الليبرالية في المنطقة العربية. وهذا انحياز منهجي مقنّع بثوب الموضوعية.

خامساً: مفارقة الهوية، ما يُطلب من المسلم لا يُطلب من أحد غيره

أعمق مفارقة في هذا المشروع تظهر حين ننظر إلى المشهد العالمي بعيون مفتوحة: في الغرب، تتصاعد قوة اليمين الديني المحافظ في الولايات المتحدة قضاة المحكمة العليا يستندون صراحةً إلى منطلقات دينية في قراراتهم. في أوروبا تتحوّل أحزاب كبرى إلى منابر للدفاع عن "الجذور المسيحية". في الهند يمارس الهندوتفا سلطةً سياسية علنية قائمة على الدين. في إسرائيل تملك الحاخامية الكبرى صلاحيات تشريعية رسمية في الزواج والطلاق والهوية.

في كل هذه الحالات، لا أحد يطلب من هذه المجتمعات "تفكيك موروثها" أو "علمنة وعيها الجماعي" كشرط للحداثة.

لكن المشروع الذي يمثله بشارة بتمويل عربي خليجي، يُخاطب المسلم وحده" *:أنت من يحتاج إلى التحرر من تراثك. أنت من يعاني خللاً في علاقة الدين بالدولة. أنت من يجب أن يشعر بالذنب حيال فقهه السياسي".*

هذه ليست حداثة. هذه إعادة إنتاج للتبعية الفكرية بلغة التنوير.

سادساً: الإعلام السوري، نموذج في صناعة المعارضة "النظيفة"

تلفزيون "سوريا" الذي يبث من تركيا يقع ضمن منظومة "فضاءات ميديا" التي يقودها بشارة، إلى جانب تلفزيون العربي وجريدة العربي الجديد والمركز العربي للأبحاث.

عبر هذه الشبكة الممتدة، من قناة تلفزيونية إلى صحيفة إلى مركز أبحاث إلى شبكة كتّاب ومحللين ومراسلين، يُنتَج خطاب موحّد في جوهره وإن تنوّعت الأصوات شكلاً: تهميش البُعد الديني للثورة السورية وتقديمه بوصفه عيباً لا ميزة، رغم أن الغالبية العظمى من الشعب السوري سنيّة محافظة. وتقديم الحل السياسي بصورة علمانية

صرفة يغيب فيها الدين تماماً من أي مشروع دستوري. وإقصاء أي صوت إسلامي مستقل عن هذه المنظومة من التغطية والدعم.
هذا ليس تنسيقاً عفوياً بين كتّاب متشابهي القناعات. هذا ما تنتجه المؤسسة حين يكون لها توجه أيديولوجي محدد وتمويل مضمون من جهة واحدة.

سابعاً: لماذا هذا أخطر من العدو الصريح؟

العدو المعلن يُرى فتُبنى أمامه الخنادق. أما الرجل الذي يلبس ثياب المفكر القومي العربي، ويُستضاف باحترام، ويتحدث بلسان فلسطين والقومية والحضارة، ثم ينتهي في كل مرة إلى تفريغ الإسلام من أي سلطة سياسية أو تشريعية، فهذا الرجل لا تُقام له الخنادق....
لأنه يدخل من الباب الرئيسي.!!!
هندسة الوعي هي أخطر أسلحة هذا العصر. وجنودها ليسوا بالضرورة غربيين أو صهاينة، قد يكونون عرباً يتقنون اللغة، ويعرفون نقاط الضعف عند العامة، ويصوغون الرسالة بشكل لا يمكن مقاومته دون أن يبدو المرء "رجعياً" أو "ظلامياً."
وهذا تحديداً ما يفعله مشروع بشارة: إعادة تعريف "التنوير" بحيث يصبح مرادفاً لـ "تجريد الذات العربية الإسلامية من مرجعيتها الأساسية" في لحظة تاريخية تحتاج فيها هذه الذات إلى تحصينها أكثر من أي وقت مضى.

خاتمة: السؤال الذي لا مفر منه

رجل :أقسم الولاء الرسمي لدولة إسرائيل وعمل في كنيستها أحد عشر عاماً. وخرج منها هارباً تحت وطأة اتهامات أمنية، رحّب برحيله اليمين الإسرائيلي. وانتقل إلى الدوحة مستشاراً خاصاً لأمير قطر بتمويل مفتوح. وأدار أكبر إمبراطورية بحثية وإعلامية في العالم العربي. ويركّز كل منصاته على تفكيك الإسلام كنظام سياسي وتشريعي دون أن يمسّ أي دين آخر بنفس الأداة.
هذا الرجل يُقدَّم لنا يومياً بوصفه "أبرز مفكر عربي مستقل."
الجمهور العربي له حق واحد لا يُنازَع فيه: أن يعرف **من يموّل الأجندة التي يستهلكها يومياً** .وأن يسأل: لماذا الإسلام وحده في قفص الاتهام؟ ولماذا لا توجد في ميزانية المركز العربي للأبحاث دراسة واحدة بعنوان "فصل اليهودية عن دولة إسرائيل"؟
حين تسمع عزمي بشارة يتحدث بثقة وأناقة وألق، اسأل سؤالاً واحداً:
من يدفع؟ ولماذا؟ ..... الجواب يفسر كل شيء.
«ليس عيباً أن يختار مفكر مجالاً دون آخر. العيب أن يُقدَّم هذا الاختيار بوصفه موضوعية علمية، بينما هو في صميمه أيديولوجيا سياسية مموّلة.»